

أفق التحاقل والتماسف الجليل للتوقع في القصص القرآني في ضيافة العبور لسورة يوسف

The interdisciplinary horizon and sublime expectation Distanciation in
Quranic stories.

In the Crossings' Hospitality of Surah Yusuf

الدكتورة مريم ضربان¹ (1)

جامعة تيبازة، (الجزائر)

البريد الإلكتروني: dorbane.meriem@cu-tipaza.dz

تاريخ النشر: 2025/12/26

تاريخ القبول: 2025/12/18

تاريخ الإرسال: 2025/10/08

الملخص

تهتم اليوم العائلة الجمالية بضيافة كل ما يتعالق برفاه "الجميل والجليل" في العبق والهالة، أي التفرد في الأزمنة والأمكنة فيما يخدم طقس التقديس المبني أساسا على احترام المسافة ومضاعفتها بين العين واللوحة، ودهشة المعنى بين النص والقارئ، وتأجيل اللذة بين المضمّر والجلي، إذ يرتبط مقالنا بالجمع بين الجماليات القرآنية في الملكة الإلهية والتناغم الكوني في الدراسات الفلسفية الفنية، وربطها بالتأويل المقدس في الترسانة الفكرية لتراثنا الإسلامي في خطاطة ابن رشد، وفي الثلاثية القدسية لابن سينا، وبين دراسات التلقي في بعد المسافة الجمالية وأفق جماليات التوقع، التي أحدثت حالة خاصة في سورة يوسف أين يرتبط أفق التوقع بأفق التحاقل.

أي أن الرؤى في القصة اليوسفية وفي السورة نفسها جمعت بين علم الاقتصاد والنفس والدراما وغيرها، فما إن يفسرها الله حتى يتضاعف أفق التوقع مع تفسير الله لها وتتصالح مع الذات المنتجة للمعنى عند تجلي هذه المسافة، فيكون القرآن الكريم "مستقرها ومقامها، وعليه، تقدم الدراسة بحثا في أفق التوقع الكامن في القصص

¹ مريم ضربان

القرآني عبر تفصيل الحقول الإنسانية والحياتية من مشهدة الرؤى الأربع من "الكواكب" "السنبلات" "البقرات" "الأرقام" "اعتبار ما سيكون، وما هو كائن" وجمالية التضاد بين الظن والحق"، في البعد التواصلية لسورة يوسف باحترام الهالة الموجودة في التماسف، كحالة صحية للتأويل المقدس تمنحه مكانة الإغراء والإغواء التأويلي لوقوفه في منطقة متاخمة بين العصيان السيميوتقي والديمقراطية السيميوطيقية، بحثا عن سر الآيات التي نمرها بمعان ما، حتى تمنح السيقنة في الشعور والإدراك معنى جديدا لها، يضاعف من انبهارنا ودهشتنا به، فنتماهي وحالة "تأجيل اللذة" ونصالح مع الإيمان بتجدد تأويله واكتشاف دلالاته والتنقيب عن مضمره وتجلي المؤلف منه.

الكلمات المفتاحية: أفق التحاقل، التماسف، التوقع الجليل، سورة يوسف، القصص القرآني

الملخص باللغة الأجنبية :

This scientific paper aims to highlight the representations of aesthetic distance in the Holy Quran, as a sacred "text" with deep meanings and greatness in meaning and structure, so that the interdisciplinary sciences are still searching for its cognitive hospitality, as a text open to the horizon of amazement. Aesthetic studies in reception are also interested in the concepts of fragrance, aura, beauty and sublime, in sacred texts, in respect for the ritual of respecting distance and harmony concerned with the divine skill and cosmic harmony in philosophical and artistic studies. Which Manifested in the depth of the intellectual and Islamic heritage through interpretation by Ibn Rushd and Ibn Sina into the sacred trilogy". Which explains the capacity of crossing between "the world of the unseen and the witnessed" in visions as a holy communication with Allah, and "interpretation within another interpretation" serves the theory of expected value and the aesthetics of reception, where the horizon of expectation is doubled with ALLAH's interpretation of it.

Accordingly, the study presents a research into the horizon of expectation in the Qur'anic stories of "Youssef surah " in the scene of the four visions of "planets", "wheat ears ", "cows" and "numbers" in an area adjacent between semiotic disobedience and semiotic democracy.

Keywords: Aesthetics interdisciplinary horizon, sublime expectation, Surah Yusuf, Distanciation -Quranic stories.

مقدمة:

القرآن الكريم "قدّس الله ذكره" تتضايّف الدراسات التحاقليّة حوله وفيه إلى اليوم، وباستشراق منقطع النظير لاستنباط قوة العلوم واتساقها من عظمتها في المعنى والمبنى والفكر والتفكير تقادما وتحيينا واستشرافا، كنص مفتوح على أفق الدهشة، إذ يتواشج هذا النصّ الجليل؛ وعلى تقرد هويته وجمالية حرفه بلذّة البحث عن المعنى كلما تقادمت الأزمنة وتغيرت السياقات واختلفت الأمكنة، ولأن لكل سورة موضوعها حسب تسميتها، ومنها ما يتواشج فيها من مواضيع غيرها في المسافة بين "المحكّمات والمتشابهات" في النظم القرآني، وفي ورقتنا، فإننا سنهتم بدراسة سورة يوسف التي تحظى بأفق تحاقلي في موضوعها وأفق جمالي مصرح به من الذات الإلهية في قصصها "أحسن القصص"، خصها الله به في باب الرؤى، التي سنحاول تفصيلها وفق جماليات المسافة والتماسف.

فقد صنعت "المسافة" مجد البحوث الإنسانية لسطوتها في إدراك المعنى وتقديس هالته، كما تم اعتمادها مرجعية أصيلة لفهم الدلالة وتأويلها اجتماعيا وثقافيا وسياسيا وحتى أمنيا، ولعلنا بحاجة للقيام بسياحة تحاقلية في "إيتيقا المسافة وحرمة التماسف" ضمن العلوم الإنسانية والاجتماعية، للوصول إلى أهميتها في التواصل والتأويل الذي يحظاه النص القرآني كنص متفرد جليل معنى ومبنى، لا تمسه المقارنة والنصوص السردية ولا الخطابية ولا الروائية ولا الشعرية، كما أنه خارج نسق المفاضلة بغيره إلا له؛ بما يتضايّف من معناه، ولهذا اهتم ابن سينا والقديس أوغستين وابن رشد بالمسافة في النص القداسي "قرآنا وإنجيليا وتورا".

وقبيل السياحة الحقلية للمسافة، يتوجب علينا البدء بأصل المسافة في فلسفة التواصل، والتي تنطلق من الرؤيا بوصفها نظاما اتصاليا "قداسيا وجليلا" مضاعف المسافات، من حيث شكل الرسالة ومحتواها، والتي تفترض تأويلا مفتوح الأفق؛ يرتبط توالد التأويلات فيه بتنوع السياقات والأمكنة والأزمنة، غير قارّ الوجهة كما يرى أصحاب البراديغم السيبرنيطيقي في الاتصال والتي تتحكم فيه حدود الشفرة وفكها، ومختلف البنية بين متلقيه ومن يتدخلون في عملية التأويل نفسها بما نسميه بالجماعة التأويلية للرؤيا، ومختلف التلقي حسب الخلفية الدينية للرؤيا نفسها، إلا أنه يحفظ فكرة أفق التوقعات -كما الحال في قصة يوسف عليه السلام- حسب السياقات المذكورة آنفا، إن اعتبرنا بعدها الدرامي قابل للمقايسة السردية على زمن الرؤيا، فيما يمكن أن يتحقق منه وبين ما يمكن أن يبقى في عوالم الشهادة، محافظا على أفق الدهشة².

في السياق الإشكالي:

² مريم ضربان، جماليات التجلي الروحاني في تأويل رؤيا الخيل، التفكير في الاتصال القدسي للصافنات الجياد وفق نموذج ابن سينا للاتصال، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 01، المجلد 11، جوان 2025، جامعة غليزان، ص: 16-17

طرح في حقل التلقي ياوس Hans Jauss Robert مرافعا على أصالة العمل النبيل والباذخ كلما زاد أفق التوقع، أما القرآن، فجماله في سلاسة المبنى وعمق المعنى وفي حرمة هالة التأويل، التي تحفظ للنص القرآني مسافته، وبالتأويل المضاعف في عوالم الرؤيا يتعضد شكل جديد من التماسف التأويلي الذي قد يمنحنا الحق في بداية التأصيل لمفهوم التماسف التواصلية عبر الرؤيا بما يتم استلهامه من التواصل اليوسفي"، والذي جعلنا نعتمد على المقاربة الترسيسية في أصل المفهوم ومنه نستشكل ورقتنا بـ:

كيف يكمن تبصر العلاقة بين التماسف الجليل للتوقع وعلاقته برفاه أفق التحاقل في سورة يوسف؟

1- ما الهالة وما حياة حرمتها بين المنظرين والفلاسفة ورجال الدين؟

2- ما هو تعريف أفق الدهشة في حقل التلقي؟

3- كيف يتحاقل التواصل في القرآن من خلال علم التأويل؟

2. في التأثيل لقداسة التماسف

1.2 الخطوة الإستمولوجية لمفهوم المسافة حقليا:

في حقل الميديا، اصطفت المسافة بحقها، حيث اهتم كل من Bolette B. Blaagaard و Stuart Allan بثقافتها 'Culture of Distance' بين الجمهور والصحافي، وبين الحدث والتعليق وبين الخبر والرأي، احتراما لسلطة التآني في مدركات "الحقيقة الإعلامية"، فكلما انتهكت المسافة بين الحدود أعلاه "تم تعويم الكذب السياسي الحسن"، وتعالى صوت الجماهير مقابل "الصفوة الإعلامية" وسهل التلاعب بالرأي العام³ وهذا لب الصراع بين نقديات فرانكفورت وبراغماتية المدرسة الليبرالية، كما نالت المسافة حقها وبوفرة في فكر بيار بورديو P.Bourdieu في معرض اهتمامه بعلم اجتماع الفن والأدب؛ وذلك بتمحيص التمايز والاختلاف بين الطبقة الذواقة والاستهلاكية، فأسس بذلك سوسيولوجيا التلقي الذوقي ومنه الهاييتوس البرجوازي الذي له تمظهراته في الموضة والفن الجميل والتجريدي، والهاييتوس الجماهيري الأدنى في معايير سلامة الذوق الرفيع، وهنا تجلت مسألة الفعالية الرمزية للتمييز والنبيل في الفضاء التنافسي للقيمة الفنية بعيدا عن عرضها ك "سلعة ثقافية"⁴.

³ Bolette B. Blaagaard, Stuart Allan, "Citizen mediations of connectivity Narrowing the 'Culture of Distance' in television news", in: Citizen Media and Public Spaces, Diverse expressions of citizenship and dissent, edited by: Mona Baker and Bolette B. Blaagaard , Routledge, USA, 2016, p58

⁴ جميل حمداوي ، بيير بورديو وأسئلة علم الاجتماع، سلسلة البحث الأكاديمي، منشورات مجلة العلوم القانونية، مطبعة الأمنية، الرباط، 2018، ص:70

ولولا المسافة ما أدرك علم السيميولوجيا وقع الدليل والعلامة في "تراتبية المعنى" بين **المصورة والمفسرة**، ولما تدخل بودريار جان J. Baudrillard في حماية وإنقاذ قيمة الاستعمال مقابل قيمة التبادل، ويتعلق الأمر هنا، بالهرب من لعبة المسافة السيميولوجية بنيويا، لأن استراتيجية أو منطق الدليل تكمن في تعميق الهوية بين أطراف الدليل وتجذير بنية التمايز بين الدال والمدلول وبين الشكل والمحتوى احتراما لحق الغموض؛ وهو سحر إيديولوجيا الصراع بين الدال والمدلول⁵، كما اهتم ابن خلدون بفلسفة المسافة في الأفضية ومعناها الجغرافي في توالد حمية العصبية، والتي نجد أن إدوارد هال Edward T. Hall قد استفاض في تفسيرها في لكتات الفضاء وحميميته، ومنه أهتمت أيضا مدرسة بالو ألتو Palo Alto بمعنى الاتصال في السوسيولوجيا الوظيفية كأداء وسلوك يدمج "الكلمة- الحركة- النظرة" والمسافة الفاصلة بين الأفراد، وقد أعطت المدرسة اهتمامها للحركة "الكينيزيك kinésique" واستخدام الحيز المكاني في العلاقات بين الأفراد "بروكسيميك proxémique" أي طرائق السلوك ضمن سياق ما⁶ فقط لأجل "حرمة المسافة".

وقد استوقف فرط المسافة العديد من الفلاسفة ومنهم "إيمانويل ليفيناس E. Levinas" في مسافة الوجه والحاجة إليه كحدث لمعرفة الآخر، أين انتبه إلى **خطاب الوجه** كضيافة hospitalité معتبرا العلاقة بالآخر هي علاقة بالوجه، علاقة تشكل "هوسا" obsession بالآخر وتحيرا يربك الوعي ويفرض عليه الإقبال اللانهائي⁷ إذ نجد أن الله-جل جلاله- قد استبق الأمر في "وجه يعقوب عليه السلام" كوصف اختص به الله حالة القلب على لسان إخوة يوسف؛ بأن الوجه مسافة مرجعية في تأسيس العلاقة بين الاهتمام والحب، ومنه اختطاف الحب عبر إشاحة الوجه في رسم ممتاز لمسافة القلوب ب"يخل لكم وجه أبيكم"، وإذا كانت المقاومة القسامية قد خلقت في فن الحرب مفهوم "المسافة صفر" فإن الله قد أقر في محكم تنزيله مسافة الأمن خاصا بها أولى الأمر من أهل "شورى الأمن"، فمسافة الحروب في ثنائية الخوف والأمن تتأسس على استنباط أمن المعلومة درء للبقاء، في سورة التوبة: **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83)**، فالأصل في المعنى ترك المسافة في الإذاعة والإشاعة

⁵ جان بودريار، (تر) منير الحجوجي، احمد قصوار، **الفكر الجذري: أطروحة موت الواقع**، دار توبقال، المغرب، 2006، ص12

⁶ أرمان وميشال ماتلار، (تر) نصر الدين لعباضي، الصادق رابح، **تاريخ نظريات الاتصال**، ط3، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص81

⁷ عمر بدري، لوفيناس والتجذير الفينومينولوجي لإيتيكا الحدث، أو اللقاء بالآخر بما هو حدث إيتيقي، **مجلة دراسات فلسفية**، العدد

06، أفريل 2016، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر، ص: 84-85

حتى لا يصل الأمر إلى العدو، والأصل هو التمهيد عند ولادة الحرب في صدقية من عدم صدقية المعطيات الحربية، ولهذا تعامل الرسول عليه الصلاة والسلام بمبدأ السرايا حفظا للمسافة في بدر وما تلاها، ولهذا لا يزال ينتهك الإعلام عبر التضليل الحربي والحرب النفسية مسافة السلم عبر خطاب الخوف.

وفي علم الاستطيقا وقفت بعداء آن كوكولين Anne Cauquelin ضد جيمينيز مارك Marc Jimenez صاحب مشروع ديمقراطية الفن لأنها تراهن لأجل قداسة المسافة، فعلى الفن أن يدهش ويحترم سطوة الدهشة، العبق والهالة AURA، حتى لا تطاله يد "العامة" بانزياح المتاح، وهنا تأسست ثنائية الجليل والجميل في أعمال كانط E. kant ، فالجليل **sublime** حسبه هو العمل الفني الذي يرتبط بأصالة المسافة، والمسافة المنبثقة من الشعور بالطبيعة والحالات الطقوسية والشعائرية الدينية التي يمنحها الفضاء المقدس هي التي تخلق حالة الجلال مع الجمال، أما العبق عند بنيامين فهو الظاهرة المتفردة التي تخلق مسافة واعية بأصالة العمل الفني؛ والتفاعل الجلي لنا حينما ندرك هذا البعد الحسي بالقيمة الفنية المتفردة للعمل الفني الأصيل، التي تتأثت من الطقوس المصاحبة لنشأته فتمثل قيمته الوجودية⁹ فالفن يبدأ وينتهي بالمقدس حتى يتماهى الإلهي في الإنساني حسب توصيف هويسمان

⁹ .D.Huisman

"تصرّح إلهي مسبق بجمالية القصة اليوسفية"

"إِنَّكَ تَكُنْ أَكْبَاشَ الْغَنَابِ الْمُهَيَّيَةِ (١) وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فَرَزًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ (٢) نَحْمَدُكَ عَلَىٰ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (٣)"

2.2 التماسف ناظرا ومنظورا اليه

قبل الخوض في غمار الورقة علينا الإبحار في سبب تخليق "التماسف التأويلي"، فمفهوم التماسف يقابل الترجمة الفرنسية *distanciation* التي وضعها بول ريكور Paul Ricœur، أما التماسف فتم تبنيه ضمن العمل الترجمي لجورج زيناتي في "الذات عينها كآخر"، وهناك من عبّر عنه بترجمتي "التنائي والابتعاد"، وقد تم تخليق مفهوم آخر ينتمي إليها هو المماسفة التي حسب ترجمة يزن شروف في مقال ستيف إيركسون *distancing* والتي تعد مبدأ جماليا يشكل عامل الدهشة في خلق النص الأدبي، وهي أيضا استراتيجية وقائية لحماية الأداء الدرامي في تناوله لموضوع حساس ما، كما أنها الأداة الشعرية التي

⁸ كمال بومنيّر، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2012، ص 65

⁹ محمد العتبي، في الجمال: دعوة الى جمالية اجتماعية، المكتبة الفلسفية الصوفية، الجزائر، 2014، ص27

يمكنها خلق إمكانات فنية وبيداغوجية للتأثير والتعلم¹⁰، وقد انهمك اليونانيون بفكرة تخليق المسافة عبر مفهوم *apostasiopoiesis* التي خطف الألمان دالها ومدلولها سلبيا نحو الاغتراب بما يقابلها من الكلمة الألمانية *verfremdung*، ثم تحويلها مجددا إلى معنى التغريب الذي يجعل من الحدث أو الشخص غير مألوف؛ فيجردهما من البداهة والوضوح ويحفظ لهما الحق في الدهشة والفضول نحوهما، وانتهى هذا الترحيل إلى كلمة المماسفة التي تعبر عن المسافة التي تفصل الأدوار عن الحدث الرئيس، وهذه المسافة تحدد المكانة والمصلحة والمنظور والعلاقة لمسافات مختلفة مما يجري في بؤرة الفعل، فكأنما هي حالة تخليق المسافات عن المسافة الأم.¹¹

أما ريكور فاستخدمها ليصف الشعور الإنساني الصحي للتملص من قيد الإيديولوجي كعقبة تواصلية ومن فخ المركزية الغربية في تمحيص المعطى التاريخي، شريطة أن يمثل التماسف حالة التجربة الإنسانية في وعيها باللمحة النقدية، بوضع مسافة بينها وبين الانتماء "للمكان والزمان والفكرة والتأويل"، وفتح الأفق مع العالم في فهم النص الإبداعي، فبالتماسف نفسه تظل الذات منتمية مسلحة بالتوق لمعرفة الخفي كي تجوب آفاقه فتحاور الثقافات ولا تعرف "سرمد" الحقيقة الأخيرة لأن المعرفة المطلقة غير ممكنة، وأن كل شمولية لفهم التاريخ مع النقد هي مآل للوهم،¹² كما تعبر عن المسافة الكافية للذات أثناء فعل التعارف مع الآخر، أين يبقى التماسف على حميمية الانتماء مع عدالة التقارب تحقيقا للموقف النقدي الذي يجعل منها متصالحة مع الحق في الاختلاف والحق في الاعتراف، وقد وظفها شراح العولمة باسم "تزايد وتسارع العلاقات المتماسفة *distanciated*"¹³.

وقد سيقنت بثينة بهاللي مفهوم التماسف بوصفه دراسة فلسفة المسافة (*distance*) بيننا وبين هذا الانتماء، كلمحة تمكنا من أن نبقي داخل عالم سبقنا، لكنها تسمح لنا في الآن ذاته بالتواصل مع الآخر، وذلك شرط كل معرفة وكل فهم إنساني، ولأن الذات لا تعيش وحدها بل تكتشف سريعا البنية الثنائية الحوارية للعيش، فإن هذا البعد يفرض عليها موقفا متعاطفا مع الآخر الذي تلتقيه كل يوم، وهذا يتطلب العناية به ورعايته، فتقدير الذات ينعكس احتراما للآخر، ومن دونه ليس هناك من تبادل ممكن معه، أما الاختلاف الذي تستدعيه تأويلية الذات - حسب ريكور P. Ricoeur - فهي مقدرة الذات عينها على خلق المسافة التي تجعل من صوت الآخر بمثابة التوسط الضروري في فهم الذات لوجودها، على نمط الإقرار

¹⁰ ستيف إيريكسون (تر) يزن شروف، استكشاف المماسفة في أعمال دورثي هيثكوت: الاغتراب كتحرير شعري، مجلة رؤى تربوية، العدد 60، فلسطين، 2025، ص 25

¹¹ نفس المرجع، ص: 26

¹² بول ريكور (تر) جورج زيناتي، الذات عينها كآخر، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 48

¹³ جون توميلسون (تر)، العولمة والثقافة، تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 2008، ص: 13

بالذات (Attestation de soi)، إنه اختلاف يؤسس لما درج ريكور على تسميته بـ الذات المحطمة (soi brisé). ذلك الذي يقوم على مسافة واحدة من كوجيتو ديكارت ونيش¹⁴ والذي صلحه بشكل نكي إدغار موران Edgar Morin بالكوجيتو المركب والمحسوب.

ولعل الأمر يتوضح قبلا في كتاب الله بالآية الكريمة من سورة الحجرات: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)، لتتحقق القدرة على التماسف بآية أخرى هي الآية من سورة الروم: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ" إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ (22) " يعني أنه لولا **مسافة الفصل** ما تحققت **مسافة الوصل**.

أما فهم العملية التأويلية في حالة التماسف التأويلي يستدعي مفهومة العديد من المتغيرات، التي استدعاها إيكو في باب القصديّة الثالثة، "القارئ" ومن بينها **التلقي والجماعة التأويلية، التأويل والمعنى الحرفي**، أفق التوقع والمسافة الجمالية، لأن الفهم العميق للنصوص حسب لا يجب أن يتم عبر التماهي معها بل بخلق مسافة بين النص والقارئ والتي تسمح بإعادة تأويله وتضاييف التأويل وهو ما يسمح أيضا بإعادة إنتاج الخطاب وتجده¹⁵، فالتأويل هو علم قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 7)، فالتأويل بـمعنى التفسير، والتأويل، وهو **عبارة الرويا** (هذا تأويل رؤيائي من قبل)¹⁶، فتأويل ما أخبر الله به عن ذاته وصفاته هو حقيقة ذاته المقدسة وما لها من حقائق الصفات، وتأويل ما أخبر الله به عن اليوم الآخر هو نفس ما يكون في اليوم الآخر¹⁷.

هنا علينا أن نتوقف لشرح فكرة هامة، هو أن الرهان في التأويل أو تفسير النص القرآني سيكون منوطا أو محتكما إلى ما يسمى **بالجماعة التأويلية** أي المفسرين والمجتهدين والأئمة من ذوي الضلوع في حقل الفهم لما

¹⁴ بشينة بحلالي، آمال منصور، أفضية التماسف ومسؤوليات زمن ما بعد المرويات الشارحة: فلسفة الاختلاف من منظور تفكيكي - إيتيقي، **مجلة رفوف** - المجلد 12 / العدد: 01

ماي 2024، مخبر المخطوطات - جامعة أدرار - الجزائر، ص: 111

¹⁵ مخلوف بوكروح. **التلقي في الثقافة والإعلام**، دار مقامات، الجزائر، 2011، ص: 43

¹⁶ الأنصاري، ابن منظور، (تحقيق) عبد الله علي الكبير، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، 1119، ص: 172

¹⁷ محمد جميل زينو، التأويل في القرآن الكريم، <https://www.alukah.net/sharia> ساعة ويوم الاطلاع 2024/10/28

تقتضيه حاجة المعنى، يعني أن صناعة الفهم ستكون قد شرحت من قبل، لكن النص القرآني مفتوح حسب الشعور أيضا، فحدود التأويل لا تقف عند المفسرين، لأن هناك حالة في الاتصال تسمى بالإدراك النفسي للمعنى سياقيا وهو ما يسمى بالتلقي التواصلي، كمنعرج بحثي جديد للخطابات وجانبها التواصلي، فقصدية الخطاب تتطلب دالا ومدلولا وقصدا، وهذا ما يبقى على الدهشة قائمة في تبصر المعنى وإن كان مشروحا من قبل، لأن المسافة هنا تقف عند عدم الاطلاع على المعنى مرة وعند فهمه تجريدا دون فهمه شعورا وحضورا، ولعل المثال الأقرب إلينا في فهم المسافة الجمالية اليوم، التي تقوم بالأساس على التعارض فيما يمنحه النص أيا كان وبين ما يتوقعه القارئ، ذلك أنه كلما انفضح النص أمام القارئ قلّت تلك المسافة وانعكس القارئ في قصدية النص وموت قصدية القارئ بسبب موت قصدية المؤول كما يطارح أومبرتو إيكو ¹⁸U.Eco، فما يحصل في فلسطين مثلا اليوم، وخاصة في غزة، من إعادة مشهدة قصة سورة البروج في الخيام، وركض ضعاف المسلمين في ولاية اليهود في سورتي الممتحنة والتوبة، ومعاملة الأسرى بحسن في آيات سورة الحجرات، هنا جعلت غزة القرآن مرثيا، يفاجئنا بما اعتادت عليه حالة الركود في التلاوة، أين يتعضد معنى المسافة على ديناميكية التدبر.

3.2 في فلسفة التلقي والتأويل

توجه الاهتمام في الدراسات الأدبية إلى المؤلف والنص الأدبي فترات طويلة، قبل أن يبدأ التفكير والاهتمام بالمتلقي، وأقرت الدراسات الأدبية المهمة بالمتلقي، أن التلقي والقراءة، المشاهدة والاستماع (عملية حيوية وليست مجرد عملية آلية، لا تقل أهميتها عن الكتابة نفسها، ولهذا جاءت نظرية التلقي لتكمل ما أغفلته البنيوية ومناهج دراسية ونقدية أخرى، ناقلة مركز الاهتمام من جانب المؤلف والنص إلى جانب النص والقارئ، ولهذا يلح ياكوس Jauss على أن نظرية جماليات التلقي هي قطيعة في مجال دراسة الأدب والفن عموما.

واعتبارا لأهمية التواصل والجمالية في ورقتنا فإننا سنهتم بتأصيل التأويل بوصفه فعلا قرائيا تواصليا وأثرا للتلقي من بعد جمالي، لأن القراءة تنتمي حتما إلى الجهد المبذول لفك الرموز وترجمة المفاهيم والمعاني والوعي بالنقد واعتماد الخبرة في إدراك العالم الخارجي ومحاولة التعرف على المكونات ووظيفتها، من التعرف والفهم إلى التفسير والتأويل والتفسير، وقد تتوقف القراءة عند فك الرمز أو ما يعرف بـ/القراءة الخطية أو الأفقية، دون الغوص في مضمير المعنى، وقد تتجاوزها إلى مشاركة القارئ في الانتفاع من

¹⁸ مريم ضربان، فاتح مختاري، تشظي المعنى في عصر التقنية، من حدود التأويل إلى التأويل السائل، مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية،

المجلد 04، العدد 02، جوان 2020، الجزائر، ص 55

فعل القراءة. وتحدد بالتالي ثلاثية العملية التواصلية في المانح Donateur ، الرسالة والمستفيد بدل المتلقي Bénéficiaire بدل المتلقي¹⁹ .

على أن الذي يهنا هنا ليس القراءة الاستعلامية Lecture Informative بل القراءة الجمالية Lecture Esthétique والتي بدونها لن تكون هناك تجربة أدبية ثقافية وذوقية وعبقية التجربة أمام أي نص كان. حيث يصف ياوس العلاقة هنا بالتبادل الإبداعي، أين يبدع القارئ معنى آخر للنص من خلال ثقافته وتجاربه المختلفة ووسطه الاجتماعي، والنص الجيد هو الذي يغري بالقراءات المتعددة، يقضي على التناسخ والاستنساخ ويحترم اختلاف التلقي ويزكي رائحة التناص، فالقراءات السابقة هي التي تنمي نوعا مألوفاً من التلقي، أو تهئ استجابة مسبقة قد تتحقق أو لا تتحقق، والعمل الجيد هو الذي يغيب أحيانا هذا التوقع، أو بعبارة أخرى هو الذي يكسر أفق التوقع أو يخالفه، كما يستفيض طرح إيكو في الاستثمار في هوة النصوص الكسولة، لأن النص الذي يميل إلى آليات كسولة ومقتصدة، يترك فجوات وفراغات بيضاء يملؤها المتلقي، وهو ما يترك للقارئ المبادرة التأويلية، ويمكن القول إن النص قطبين؛ قطب فني يكمن في النص ويحققه الكاتب، وقطب جمالي يحققه القارئ، فالمعنى غير المغروس في النص هو الإطار الذي يؤسس داخله القارئ شكل الموضوع الجمالي، ويقيم ما يتذوقه في ضوء أحداث الماضي وتوقعات المستقبل²⁰

علما أن دلالة الاستعمال القرآني لمادة التلقي مع النص تنبّه إلى ما قد يكون لهذه المادة من إحياءات وإشارات ترتبط بعملية التفاعل النفسي والذهني مع النص، فقد ورد التلقي في المشهد الخاص بتوبة آدم عليه السلام، وحتى ملكي اليمين والشمال بمعنى الفهم والفطنة وهي مسألة لم تغب عن المفسرين²¹، وهذا ما يجعلنا نستحضر علاقة التأويل بالبناء النفسي للتأويل والقراءة التي انتبه إليها تزفيتان تودوروف T.Todorov حينما نسب حالة التأويل إلى الاستبطان، لأن الاختلاف التأويلي في سرد نفس القصة بين قارئين أو ثلاث مرتبط بنفسية كل فرد؛ ما يسميه بالتحليل النفسي الإسقاطي للذات القارئة (تودوروف، 2019)²²

4.2 من المسافة الجمالية إلى المسافة الجلييلة:

كان قد فكر غادامير Gadamer في مفهوم انصهار الآفاق *horizontuerschmelzung* بين وعيين مستقلين إزاء نفس النص²³، ومن هذا المفهوم طوّر هانس روبير ياوس من جامعة

¹⁹ حميد علاوي، نظرية المسرح عند توفيق الحكيم، وزارة الثقافة والفنون الجزائرية، 2008، موفم للنشر، الجزائر، ص: 261

²⁰ محمد علاوي، مرجع سبق ذكره، ص 262

²¹ مريم ضربان، فاتح مختاري، مرجع سبق ذكره، ص: 56

²² تزفيتان تودوروف، القراءة كبناء، مؤلف جماعي: نظريات القراءة : من البنيوية إلى الجمالية، دار الحوار، دمشق، 2019، ص 43

²³ هايسن فرديناند، من الهيرمينوطيقا إلى التفكيكية، مؤلف جماعي: نظريات القراءة : من البنيوية إلى الجمالية، مرجع سبق ذكره، ص 43

كونستانس l'école de constance حالة الظاهرة الجمالية للتلقي ضمن مفهوم أفق التوقعات، قصد إحداث بلاغة جديدة تكسر الحدود بين الأدب الراقي والشعبي وبين العالم المتخيل والحقيقة اليومية، فالمتلقي يقبل على المضمون وهو يتوقع شيئاً ما، يمارس حق الانتظار لقياس الفرق الجمالي، هنا يبدأ بربط عمليتي التلقي وأفق التوقعات وبنائها، أين تدخل الذات المستهلكة في تفاعل مع الذات المنتجة في جماليات الأفق بمعناه الاجتماعي، ومن بين الأفكار التي طرحها ياوس هي المسافة الجمالية Distance Esthétique وأفق التوقع Horizon d'attente بوصفه تهييء القارئ لتلقي النص بطريقة ما، ويعني بالمسافة الجمالية الحد الفاصل بين أفق التوقع المسبق والعمل الجديد الذي يمكن عبر التلقي أو القراءة أن يحدث تغيير أفق التوقع، فتذهب إلى تغيير التجارب المألوفة، وتسمح لتجارب جديدة أن تلج إلى الوعي²⁴، وليست بالضرورة مرتبطة بأعمال أدبية مختلفة، لأن أفق التوقعات يساعد على إدراك الاختلاف التأويلي للنص الواحد بين مرحلتين زمنيتين مختلفتين؛ فيما يسميه بالتأويل التزامني والتعاقبي بوصفه شكلاً من أشكال التراكم الرمزي للرؤى والمعارف والأفكار التي تصنع مادة الأفق في شكل التجربة الاجتماعية للقارئ في مسار التاريخ²⁵.

وهذا ما جعلنا ننطلق من فكرة أن القرآن الكريم نص متضاييف التأويل شعورياً حسب زمن القراءة، وتتناقص المسافة الجمالية حينما لا يجد المتلقي صعوبة ولا حرجاً من التوجه نحو أفق تجربة ما، مازالت غير معروفة أو ما زالت جديدة بالنسبة له، ويمكن تحديد المسافة الجمالية بين العمل الجديد وأفق توقع القراء من خلال رصد ردود الفعل لديهم وأحكامهم النقدية، فكلما زادت درجة التقارب بين العمل الفني وأفق الانتظار كلما كان العمل متدنياً وموجهاً للاستهلاك الآني، والنص الجديد يخلق لدى القارئ جملة من التوقعات وقواعد تقرر بها النصوص السابقة، تسمح بتحسين العمل الأدبي وإعادة إنتاجه وتجيبه تاريخياً²⁶، أما حالة تأجيل اللذة فهي المساحة الزمنية بين القراءة وفعل إنتاجها، وهي نفسها رغبة الاشتهااء التي تثيرها القراءة في المتلقي، والافتتان بالنص والتلذذ به والانجذاب إليه بفعل سحره، والتداوت معه كتصادٍ اجتماعي حسب دراسات سوسيولوجيا التلقي التي تبحث في الرساميل الرمزية له عبر استبعاد التأويل الجاهز²⁷.

ولأن سوسيولوجيا التلقي ترتبط بسطوة الجماعة التأويلية لقدرتها على إدارة الرؤية الذوقية للقارئ ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية فيما يتذوقه من نص، لعضويته في طبقة أو مستوى اجتماعي ما، دين

²⁴ حميد علاوي، مرجع سبق ذكره، 262

²⁵ مخلوف بوكروح، مرجع سبق ذكره، ص: 44

²⁶ حميد علاوي، مرجع سبق ذكره، 263

²⁷ مخلوف بوكروح، مرجع سبق ذكره، ص: 45

أو عمر ما، جنس أو موقف سياسي ما، ميل أدبي وحاجة جمالية ونفسية ما²⁸، فإن هالبواك halbwaches توقف هو الآخر في باب سوسولوجية الأحلام عند بنيوية الحلم وتفكيكيته حسب السياق الاجتماعي، مرة بوصف الحلم مادة رمزية سيميولوجية وخطابية؛ ومرة لأن هذه المادة بحاجة إلى تأويل تاماً مثلما يقع على النص، وركز على ما أسماه بالأحلام الحضارية التي تمنح له وسائل وأدوات وملكات لمواجهة الحياة ليصبح عضواً في المجتمع، ولها علاقة بالرموز الموظفة داخل الحلم نفسه، ولأن الرموز ليست ذات أصل واحد فإنها تحتكم إلى ضرورات اللغة لتفسيرها، عبر التلميح والرمز والمجاز ومنها ما يتحول إلى مواضيع ذات اتصال عالمي، وعليه فإن عملية تأويل الحلم -الرؤيا إسلامياً- لها علاقة بزمناها وبهويتها المجتمعية، معتبراً أن الحلم نفسه كحالة سوسيونفسية تنتمي إلى ملكات الذاكرة لها ارتباطها بالنمط الحضاري للرأي؛ لأن الحالة الحلمية تندمج في تركيبة الوجود وتمتزج به لإدراك العالم المحسوس، فالحلم يزود "الرأي" بحل لمشاكل حضارته ويتموضع بشكل أفضل في الإطار المجتمعي²⁹.

ومنه سنفهم علاقة الرؤى اليوسفية بالتأويل اليوسفي والرباني معاً لأن الرؤى كمادة سيميولوجية داخل نص سيميائي إن اعتبرنا القرآن نصاً لغوياً وخطابياً وسردياً وقصصياً ولكن بخصوصية البنية القداسية؛ قد حظيت بمسافة جلية أو ما يمكن تسميته بالمسافة الجلالية، وهي الأفق التأويلي الذي ترتبط فيه حالة الدهشة بالرعب والإجاب والتوقير والاحترام لدى القارئ، والتي سبق وأن تناولها إدموند بيرك E.Burke في مؤلفه حول الجليل والجميل في إسقاطنا لها على علاقة المسافة الجلية بتأويل وتفسير النصوص القداسية بمفهوم الجلال أي ارتباط البنية التأويلية بالحالة النفسية لمزج شعوري الخوف بالتعجب مع الاحتفاظ الأصل بحالة الإبهام والغموض³⁰.

وعلى عكس التأويل الفردي لسيكولوجية الحلم عند فرويد الذي يعتبر المادة الحلمية مفروضة علينا كنمط هروب من المجتمع، وهروب من سلطة الأنا الأعلى، لأن الحلم حسب حالة إشباع مرت على نظام الوعي ولفظها خارج اللاوعي واستلهم منها استدعاء مرحلة الطفولة بوصفها مرحلة خارج العقاب والمراقبة الاجتماعية، لا علاقة لها بالطهارة كما يعتقد الكثير، وهو ما يسمى بوظيفة الهرب الحلمية التي قد تصطدم باستيقاظ الحالم لحظة الكابوس الذي هو تصارع نظام الرغبة بنظام حراسة النوم (رالف، 1986)، فالمجتمع عند فرويد متغير مستقل وعند هالبواك متغير تابع، وهو الخلاف الذي يعمق من

²⁸ نفس المكان

²⁹ روجيه باستيد، (تر) وجيه البعيني، السوسولوجيا والتحليل النفسي، دار الحداثة، بيروت، 1988، ص 239

³⁰ إدموند بيرك (تر) حنا عبود، في الجليل والجميل، دار الحوار، دمشق، 2017، ص 61

اختلاف المنظور التأويلي للرؤى ومنه انحسار الدهشة من ارتفاعها، وهو الذي يجعلنا نتساءل عن طلب التفسير مع عدم توقعه في الحلم الحضاري لعزير مصر، وحالة التأويل الاستشراقي ليوسف عليه السلام نفسه عن طريق الاستدلال بالتراجع عند سجود إخوته، وحالة طلب التأويل في السجن لطبيعة الحلم الفردي لصاحب الطير وحتى لعاصر الخمر، وعلاقتها بمعيشهم القلق.

لأن فرويد في فردانية الرؤية يعتبر الحلم وضعاً هستيرياً من الخوف والقلق على الذات، وهذه بعد ذاتها كافية لكسر أفق التوقع بين نظام أشكال الرؤى في سورة يوسف حسب تخصص علم النفس، أو سيكولوجية القرآن الكريم، حيث تجاوز المنام الأول والثاني أفق التوقع في تفسير يوسف عليه السلام داخل السورة نفسها من المسافة الشكية عند الله، حين قال ربنا "وقال للذي ظن أنه ناج منهما" بمعنى أن العملية التأويلية كسبت صيغة التخمين عند يوسف بعد التيقن الذي أقره يوسف نفسه "قضي الأمر الذي فيه تستفتيان" وانتهى الله جل جلاله إلى إثبات تأويل يوسف بالنجاة مع إطالة عمر خروجه من السجن بالنسيان رداً على القضاء في الأمر، وحسب ابن عاشور الذي اعتبر النسيان هنا نسيان مرتبط بنسيان الملك ليوسف ونسيان الفتى ليوسف ونسيان يوسف أن يدعو الله بتذكير الفتى للملك، وقد كان في ذلك باب لميلاد حقل "حقوق المساجين" حسب ابن عاشور³¹.

ولأننا نروم هنا بأن نجمع أفق التوقعات بالمنظورات الخاصة بالمسافة حسب المكانة والزمن والحدث لبحث ميلاد أفق التحاقل القرآني عبر الرؤى، فإننا بحاجة إلى الوقوف عند دراسات يونغ وفرويد في الرؤى العددية، فالسنبلات والبقرات تنتمي إلى مستوى الأحلام العددية ذات الرؤية الحضارية للمملكة المصرية، هنا نعود إلى ما أسماه باستيد بالمحيط الاجتماعي للرؤى، وهو الذي عكف على فهم الفرق بين رؤيا اللامتدينين وبين سير المتصوفين في بحوثه الميدانية في ربط تضائل البذخ عندهم بارتفاع مستوى التجلي، لأن اندماج الحالم بمنظومة أو مؤسسة اجتماعية ما أيا كانت كنيسة أو مسجداً مدرسة أو عائلة هي ما تجعله يتزود منها مادته الحلمية ويؤولها أيضاً³²، وهنا يتلقي باستيد مع كارل غوستاف يونغ C.Jung الذي يعاكس يونغ في سيكولوجية الحلم العددي وانهماهما بالرغبة والنشوة، لأن فرويد اعتبر أن الماضي النفسي للحالم هو المفسر الوحيد للأرقام عنده تحت باب الترجيم speculation الظني غير الواقعي، أما يونغ وفي نفس الرؤية النفسية نسب الأحلام العددية إلى حالة التكوّن constellation بوصفها مجموعة من الأفكار يتم الشعور بأنها مترابطة فتصنع عقدة الأفكار ذات الطابع الإحساسي، ولكنه اعتبر الأحلام العددية حالة تخمينية conjecture قابلة للاستنتاج من دليل ناقص، ولها تفسيرها

³¹ راجع: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، 1984.

³² روجيه باستيد، مرجع سبق ذكره، ص 239.

غير الترجيبي ولو كانت قداسية وطقسية، عبر مثاله في حالة المرأة صاحبة حلم "لوقا" 37³³، وعليه فإن البعد العددي في تلقي يوسف عليه السلام لحلم عزيز مصر، أحيط بمسافة تأويلية ارتبطت بربط الرقم بالسنوات أو بعالم الزمن، واستلهم منها مادته في **مجال الأمن الغذائي** للمملكة المصرية، وفي نفس الوقت كسر أفق التوقع في ربط عدد الكواكب بالزمن وتركه لعدد الإخوة والوالدين في مسافة تأويلية تراجعية أي فسر الرؤيا بعد وقوعها، بعد مرحلة السجن، في تحضير الله ليوسف عليه السلام إلى حياة التمكين والإدارة الخاصة بالقصر تحضيراً لمشهد السجود الكواكبي بما فيه اجتماع الشمس والقمر والتي تسمى **بالمفارقة الدرامية** بوصفها لعبة أسلوبية لغوية تصنع مسافة بين المعنى القريب المدرك والمعنى البعيد النقيض والمتضاد والمنهك للبحث، بحيث لا يهدأ القارئ إلا بعد أن يصل إلى المعنى³⁴.

3. أفق التحاقل في المسافة الجلييلة لسورة يوسف

إن الحديث عن المسافة الجمالية هو حديث عن واحد من أساليب الخطاب القرآني؛ لا من جهة كونه نصاً أدبياً بل من جهة فاعليته في إثارة المتلقي ذهنياً لانتظار المتوقع وغير المتوقع، وما تخلفه النتيجة من لذة أدبية في حال استجلاء التوافق، وعليه فإن مسألة المسافة الجمالية في التلقي أضحت في الخطاب القرآني ظاهرة لاكتشاف العلاقة التواصلية بين النص والمتلقي، من خلال أسلوبية العرض التي تظهر بجلاء في القصص القرآني، والذي يؤدي فيه عنصر المفاجأة مسلماً مهماً، ذلك أن المفاجأة في الأحداث تلامس المتوقع وغير المتوقع من خلال الأحداث والشخصيات، حيث يحاكي الخطاب القرآني في تعبيره فاعلية ملموسة، يمكن استشعارها من خلال القراءات الأولى للنص، ربما يتطلب غير المتمرس في الأساليب الأدبية والبلاغية واللغوية وقتاً مميزاً لتحديدها، فالحديث عن الخطاب القرآني هو حديث عن خطاب نادر لن يتكرر مرة أخرى باعتباره خاتماً، لكنه من وجهة نظر أخرى يستوعب قدراً غير متناهي من الأساليب البحثية في كل المجالات التي قد يغطيها الأدب العربي في النصوص الأدبية، وهو المحك الذي جعله عالماً فارضاً لنفسه بقضاياها وأساليبه³⁵.

1.3 في السرد القرآني القصصي

³³ حالة امرأه غير متدينة، درسها غوستاف، كانت قد رأت في حلمها "لوقا" 37 واعتبرت أنها لا تتذكر حلمها بشكل كافٍ، إن كانت قد رأت لوقا 137 أو 37 ولم تعرف تفسير ذلك، فتوجهت إلى الإنجيل وفقاً للوقا، في باب "أعمال الرسل" الذي تفاجأت أنه يحتوي على 26 آية فقط، وعندما اتجهت إلى "العهد الجديد" وجدت الآية 37 تدل على بشارة ميلاد المسيح من مريم، وقبلها كانت قد فصلت تفسير الأرقام فردياً، أن الرقم سبعة وفق الآية 07 من الفصل 13 كانت قد دلت على عجز زوجها حسب دلالة شجرة التين، ومنه تولدت لديها الرغبة في قتله بسبب ذلك التفسير العددي للأرقام.. كارل غوستاف يونغ، (تر) محمود منقذ الهاشمي، **الأحلام**، دار الحوار، سوريا، 2013، ص 07

³⁴ رنا أحمد عبد الحليم، **المفارقة الدرامية في سورة يوسف عليه السلام**، **مجلة دراسات**، المجلد 44، العدد 04، 2017، ص 134

³⁵ عبد الغفار بن نعمة، **المسافة الجمالية في السرد القرآني**، **مجلة الحضارة الإسلامية**، العدد 22، 2014، ص 225

من المعروف في القرآن الكريم أن سرد قصة كاملة متتالية الأحداث في سورة واحدة من بدئها إلى نهايتها لم يرد إلا في سورة يوسف التي اختصت بقصته عليه السلام؛ بخلاف كثير من القصص التي توزعت على سور القرآن الكريم بحسب سياقات السورة، والمقصود التواصل العام منها، وأشهرها قصة موسى عليه السلام التي تلفت نظر المتلقي في مرّات ورودها والسور الواردة فيها، ويظهر السرد الإخباري في سورة يوسف من حيث دلالات الخطاب مبنياً على محاور تواصلية منشقة دلاليّاً بشكل يتكرر مع كل مجموعة من الآيات الكريمة في سورة يوسف منها محور الرؤيا في "التواصل الحدسي"³⁶، كما في الآيات - إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ [يوسف، 4]. وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَبِيرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رُءُوسِ خَبِيرٍ تَأْكُلُ الطَّنِيرَ مِنْهُ نَبْتًا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [يوسف، 36] وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَنتُنِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ قَالُوا أَوْشَاعُ أَحْلَامٍ وَمَا تَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَنِهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ [يوسف، 46].

إن العلامة اللغوية الفارقة في هذا النوع من السرد المتكامل تكمن في بنائه على فعل كلامي محوري يتكرر في صيغ متعددة هو رأيت أرى أراني، وتكراره في سياقات كثيرة، ففي الآية الأولى التي تعد محوراً للسورة كلها لم يرد فيها فعل التنبؤ بعد فعل الرؤية إيداناً بأن الرؤيا ستفسر في إطار مطلق مفتوح لا يتناسب مع تأويل مباشر؛ في حين أننا نجد في الآيتين التاليتين من محاور الرؤية في حياة النبي يوسف عليه السلام ردوداً تتعلق بالفتيا أو التأويل أو طلب النبأ (التفسير) المعنى هذه الرؤى من أصحابها، ولا يخفى أن عدم ذكر أسماء الأشخاص هنا كما في أغلب القصص القرآني هدفه الإيحاء للمتلقي بفضاء يصنعه هو وفق البنية الكلية المضمون الخطاب . وهذا ما يجعل التلقي ذاتياً في مستوى من المستويات، وجمعياً في مستوى آخر، فالذاتي يتعلق بها اقتفاه المتلقي من إحياءات وتأويلات، والجمعي ما يتعلق بما ينتجه التواصل من أعراف اجتماعية وإنسانية في ذلك العصر وإلى يومنا هذا، فالسرد المبني على وحدة الموضوع وهو القصة الواحدة من بدء السورة إلى آخرها قدم نموذجاً لنوع خاص من التواصل عند المتلقي بحيث لم ترد قصة يوسف في أي سورة أخرى من سور القرآن الكريم على الإطلاق، وهذا ما نسميه

³⁶ رانية محمد غياث عالية حموي، جمال التواصل في الخطاب القرآني المكي والمدني، دار نينوى، دمشق، 2022، ص: 104

بالحكاية المنفردة التي تقدم حدثاً وقع مرة واحدة وروي مرة واحدة، وهي بذلك تخرج عن حد الشيعو إذ ليس هناك تكرار لا على مستوى الحدث ولا على مستوى السرد³⁷.

3.2 التماسف التأويلي في القصة اليوسفية

إن الخصائص الفنية للقصة القرآنية اليوسفية أنها تسرد أحداثاً وشخصيات وتذكر للفضاء الزماني والمكاني، لذا تتميز السورة باستلهاً أنظمة المسافة التأويلية عبر الخصائص الفنية واللغوية³⁸، لذا يعد التأويل الديني هنا من المسائل الأكثر تواتراً بي الأدباء والفقهاء والفلاسفة، وهو ما أخرج التأويل من دائرة التعميم إلى مستوى خصوصية المتن النبوي. ولذلك ورد قول ابن سينا في هذا الأمر مسائراً لانشغال حقبة بكاملها اتخذت من الخطاب الإلهي جوهر محادثاتها، محيلة إلى النبوة والحاجة إلى فهم مضامين الوحي، لأن الوحي يحتاج إلى تأويل والرؤيا إلى تعبير، وهو ما يحقق وجود المسافة الجمالية أساساً، ويضاعفها بفعل الوحي نحو الجلال بما أسميناه بالتماسف، حيث يتصل التأويل عامة بالمعنى، ويتصل بما يلحق الألفاظ والعبارات من دلالات. والفرق بينه وبين المعاني أن المعنى نتاج والتأويل منهج لبلوغ المعنى، فهو أداة بها يكشف عن مدلول القول. ولذلك عُرف في اللغة على أنه فعل تدبير الكلام أي النظر فيه للظفر منه بالمعنى المراد، كما يختزل التأويل في فعل انتزاع المعنى، وهو ما يحيل على مواراة لما تبتغي الكشف عنه. فالكلام الخاضع للتأويل هو الذي يحتمل التعدد في المعنى حسب اعتبارات مختلفة تتصل أساساً بالعبرة التي يستوي فيها اللفظ على ترتيب مخصوص قابلاً للتحوّل حسب ما يرافقه كحالة الهيئات الثلاث لقميص يوسف عليه السلام، كما أن للذات المؤولة دوراً في تحديد المعنى المقصود، فقد تأخذ منه أولى معانيه وقد تذهب باتجاه الأبعد، وبالجمله يؤخذ التأويل على أنه استنتاج للفظ عن محتواه الدلالي، قد يضعنا هذا الحد أمام اللاتناهي في المعنى استناداً إلى تموضع القائل والمقول معا والذي يعسر معه الحصر. لذلك نجد ابن سينا حذراً في حده للتأويل قصد تجنب كل إغراق من شأنه أن يزيغ بنا عن المعنى المقصود أمام مضامين من طبيعة مخصوصة³⁹.

ذاته الأمر تشهد قصة النبي يوسف عليه السلام، التي يبقى القارئ على أهبة الاستعداد حيال متابعة بدايتها، فحين نقرأ قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَخُوتُكُمْ فَكِيدُوا لَكُمْ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ 20 ﴾ "ينعقد التوقع بالأذى الذي ينتظر يوسف من طرف إخوته ومتابعة السياق تولد رغبة في اكتشاف طبيعة الأذى الذي تحدث عنه السياق، ثم يتنامى التوقع ليضمن المسافة بين النص وبين ما ينتظره القارئ حين يرد طلب الإخوة اصطحاب يوسف، ولعلها اللحظة التي يعتقد القارئ أنها لحظة الأذى المنتظر،

³⁷ نفس المرجع، ص: 105

³⁸ رشيد بريشو، تجليات السنن الإلهية في قصة يوسف عليه السلام، مجلة المنهل، العدد 02، 2022، ص 04

³⁹ سعاد الجويني، ابن سينا، التخيل والشعر والنبوة، مجمع الأطرش، تونس، 2017، ص 167

والتحذير الأبوي يكشف أن الأذى سيكون خارجياً بفعل أكل الذئب، رغم أن السياق أشار في البداية أنه سيكون من طرف الإخوة⁴⁰، وفي الدراسات الاتصالية نسميه بـ "الاتصال الظاهري المتناقض" أي أخذ نفس التصريح بالذعر كمحمل للمحاجة من طرف المتلقي وهو الذئب دوناً عن غيره من الحيوانات، على أن التفسير الصوفي عند السلمي لسورة يوسف يرى أن الذئب هو كناية عن الحسد وأن لا وجود له أصلاً⁴¹.

وبتمام عملية الاصطحاب أضحى التوقع أقرب إلى الحقيقة، غير أنه ينكسر حين يكشف السرد أن الافتراض لم يتم بالفعل، وأن الذي حدث هو افتعال حادثة الافتراض فحسب، ذلك في قوله تعالى على لسان الإخوة: وجاءوا أباهم عشاء يبكون **قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّيْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ** 21 ثم يفاجأ المتلقي بحدث جديد وهو إلقاء يوسف في البئر لا افتراضه المزعوم، وبهذا المنحى البياني والبنائي للقصة تتحقق الإثارة الفنية في تفاعل **عنصر المفاجأة مع عنصر التشويق**، بل تزداد المسافة الجمالية إثارة بين القارئ وأحداث القصة حين يكشف السياق أن الذي حدث بعد عملية الإلقاء في البئر حقيقة؛ وأن عملية الافتراض المحتملة من طرف يعقوب قد كانت مؤكدة من طرف الإخوة، هو الاحتمال الثالث الذي تحدث عنه السياق بداية في طبيعة الأذى الذي سيلحق بيوسف وهي: القتل أو الطرح في مكان من الأرض، أو الإلقاء في غيابات الجب تلتقطه بعض السيارة، وهذه الحلقة الأخيرة هي التي كشف عنها السياق في حين لم تكن من توقعات القارئ في قوله تعالى: **(وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غَلَامٌ وَأَسْرَاهُ بَضَاعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)**⁴².

3-3 المسافة الجمالية والقطع المفاجئ:

يعد عامل الفجاءة في ظهور الشخصيات الحديثة في سورة يوسف من أشكال المسافة الجمالية التي ترفع أفق التوقع وتكسر سابقه، بل وتمنح مشهدة جديدة للتماسف عن الأحداث بصناع أحداثها، كحال زوجة العزيز التي غيرت مسار الشعور من الأمومة إلى العشق، وهنا كما سنستعرض في الجدول، تزامن الكيد النسائي مع تجلي هذه الحالة وانتشار نظام الشائعة، حيث تغير شكل التواصل من **الإعداد إلى الاعتداد (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا)** أي يسرت لهن ما يتكئن عليه من النمارق والمخاد والوسائد، وغير ذلك مما يكون في مجلس أعد للكرامة، والفرق في التعبير بـ (أعدت) بدلاً من (أعدت) الذي يتضمن حضور عامل الإشهار والمبالغة في الاستعداد الذي بذلته لهذه الوليمة، لأن أمرها يعنيها عناية خاصة، فالزيادة في اللفظ اقتضت زيادة في المعنى، وسعة في المدلول

⁴⁰ عبد الغفار بن نعيم، مرجع سبق ذكره، ص 226

⁴¹ أبو عبد الرحمن السلمي وآخرون، **التفسير الصوفي لسورة يوسف**، المكتبة الفلسفية الصوفية، الجزائر، 2021، ص 80

⁴² عبد الغفار بن نعيم، مرجع سبق ذكره، ص 227

وعلى كل حال فكلمة [متكأ] كلمة قرآنية تصور لك من الطعام ذلك النوع الذي لا يقدم إلا ترفاً وتكها وتجيلاً للمجلس، وتوفيراً لمظاهر المتعة فيه، حتى إن الشأن فيه أن يكون الإقبال عليه في حالة من الراحة والاتكاء (وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا) والتعبير بلفظ العموم هنا وهو (كل) يشعر بحرصها على أن تقع السكين في يد كل واحدة، وهذا لم يهملها في المتكأ، لذا لم تقل: واعتدت لكل واحدة منهن متكأ، فتبين من ذلك أن موضع اهتمامها هو السكين في يد كل واحدة، وهي تقطع ما يحتاج إلى قطع من الطعام، وكان قصدها في بروزهن على هذه الهيئات متكئات في أيديهن سكاكين يحززن بها شيئين: أحدهما: دهشتهن عند رؤيته وشغلهن بأنفسهن، فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها فتبكتهن، ويكون ذلك مكرراً بهن إذ ذهبن عما أصابهن من تقطيع أيديهن لسلبه عقولهن، والثاني: التهويل على يوسف بمكرها إذا خرج على نساء مجتمعات في أيديهن الخناجر، توهمه أنهن يثبن عليه، فيحذر مكرها دائماً، ولعله يجيبها إلى مرادها على زعمها ذلك، ولعل هذا يوحي إليه أنه لا خيار أمامه، إما الاستجابة لمطلبهن، وإما العقوبة، خصوصاً أن هذا التخويف أصبح جماعياً، وبهذا نجحت امرأة العزيز في تصوير هذا التكتل النسائي لصالحها، وبث الرعب من خلاله في قلب يوسف الله، كما نجحت في استثمار السكاكين في إقامة الحجة على النسوة، لكسر شوكتهن، وإسكات مقالتهم⁴³.

ومن هذا القطع المفاجئ لدخول شاهدات الزور إلى المشهد اليوسفي نجد الكثير من شخصيات الحدث في القصص القرآني، تدفع القارئ إلى تقبل الظهور غير المتوقع للشخصية الجديدة، ويحاول في آن واحد بلورة دورها في خضم الأحداث، مستصحباً في ذلك الذوق الفني في أسلوب عرضها، كما يلاحظ أن الشخصية الجديدة غير المنتظرة تستقل بمجموعة من الآيات تقارب عدد الآيات التي سبقتها، وهي لطيفة قرآنية تبرز أن الشخصية تمتلك أهميتها في الأحداث⁴⁴.

4. سورة يوسف: استجلاء أفق التحاقل⁴⁵

الحقل المعرفي	معانيه	تفسيراته
------------------	--------	----------

⁴³ حمود، بن عويص العطوي، *جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف*، دار تدبر، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، قطر، 2022، ص 85

⁴⁴ بن نعيم عبد الغفار، مرجع سبق ذكره، ص 267

⁴⁵ استلهم جدولنا من التحاقل الذي وضعه الباحث جرمان العيد، مع تعميده ببنية العديد من المراجع الأخرى، راجع: جرمان العيد: المبادئ والأحكام في قصة يوسف عليه السلام، النشر الجديد الجامعي، الجزائر، 2016، ص: 90 إلى 110

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا خَيْرٌ حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (2) وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يوسف: ٥٤ - ٥٧]. لا تزال أسهم يوسف ترتفع في نظر الملك مرة بعد مرة، وفي موقف بعد موقف، أولاً بتفسير الرؤيا، ثانياً برفضه الخروج، وثالثاً بهذه الشهادة التي أدانت بها النسوة أنفسهن وشهدت له شهادة ما قيلت في أحد من العالمين، ورابعاً بقبول الحقيقة الوزارية مع إيضاح العلم والأمانة، تحمل المسؤولية وإدارة المنفعة العامة	التمكين والأمانة⁴⁶ النبى الوزير	السياسة وسياسات السلطة
أفصح عزيز مصر ليوسف عليه السلام أنه بات على علم من خلال الرؤيا بسر الدولة وأنه تمكن منها بعلم الاستنباط لذا من صالحه أن يبقى مقرباً من السلطة، وهو الاعتراف الذي أعقبه يوسف عليه السلام بطلب المسؤولية لأجل الأمة وليس لأجله وهذا مدار الخطاب العمومي الاستراتيجي (أبو عبد الرحمن السلمي وآخرون، 2021)	سر السلطان	
اعتمد يوسف عليه السلام على دبلوماسية التفسير والتأويل في قصة البقرات والسنبلات استباقياً على عكس التفسير الذي طلبه الفتیان، إذ منحهما رسالة الإيمان قبل التفسير، وكان الغرض عند يوسف إن يدير اتصال أزمتيه بإدارة الأزمة الأم "الأزمة الحضارية" وفق مبدأ تقدير الموقف في علم القيادة الحكيمة، واعتمد ما نسميه اليوم بعلم إدارة الأزمات ومراحلها الثلاث: 1- مرحلة ما قبل الأزمة: إشارات الإنذار المبكر عبر الرؤيا 2- مرحلة التعامل مع الأزمة: وضع استراتيجية قريبة ومتوسطة وبعيدة المدى 3- مرحلة ما بعد الأزمة: انفراج الأزمة بعالم الغوث الذي ستحتاجه ثقافة الاتصال مؤسساتي أو العمومي عبر التوصية الاستراتيجية في خطاب التنفيس والأمل. 4- مرحلة إدارة خطاب السيادة والعلامة خلال الاحتواء وبعده: (ألا ترون أنني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين) 59، لفتح الباب لجميع من يأتي القصر بمصر من البدو أو خارجه .	اتصال الأزمة⁴⁷	اتصال الأزمة والتربية على إدارة الأزمة
(الزراعة والصناعة والمال والتجارة والتموين) في كل وقت وفي الأزمات على الخصوص لإنقاذ البلاد من أزمة اقتصادية محققة أو محتملة، فيشرف مباشرة على اقتصادها من حيث اختيار السياسة الاقتصادية الملائمة والأعوان الأكفاء لحسن التنفيذ، وهو ما قال به يوسف عليه السلام "قال اجعلني على خزائن الأرض، إني حفيظٌ عليهم" (55) وتفسيره رؤيا الملك والإرشاد إلى طريقة التخزين والاستهلاك بالتقشف أو اقتصاد الأزمة، بإقامة	الخبرة على شؤون وزارة الاقتصاد	العلوم الاقتصادية

⁴⁶ علي محمد الصلابي ، النبى الوزير يوسف الصديق عليه السلام من الابتلاء إلى التمكين، دار الأصالة للنشر والتوزيع، تركيا، 2023، ص

361

⁴⁷ سعاد العقون، مدخل لإدارة الأزمات، مركز البحوث والدراسات حول الجزائر والعالم، الجزائر، 2016، ص: 195

الموازنة بين الاستهلاك في سنوات الرخاء وسنوات القحط لتفادي المجاعة وما ينشأ عنها من أزمات أخرى سياسية واجتماعية وثقافية، فكانت نصيحة عالم الاقتصاد: فيما يحصن وفيما سيؤكل، وهي دعوة إلهية إلى أعمال الفكر في استشراف المستقبل بالتحضير له والاستعداد لاجتياز الأزمة الاقتصادية بالتخطيط العلمي لها، ويوسف عليه السلام علم بالوحي والرؤيا أن مصر ستمر بأزمة اقتصادية.		
جاء ذكر السقاية (كأس أو إناء للماء أو للسوائل الأخرى كالزيت أو غيره مما يكال كالحبوب، والصواع وهو مكيال أيضا (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه، لم أذن مؤذن أيتها العبر إنكم لسارقون، قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) (70 71 و 72) وقوله (ألا ترون أنني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين) (59) وهو ما يقيد ضبط الموازين وعدم التطفيف.	المكاييل والموازين	
بمقدار عند الأزمات الاقتصادية بسبب الجفاف أو الكوارث الطبيعية الأخرى أو عند الحروب وقد ظهر اليوم ما يعرف بالحصار الاقتصادي، وشروط إعادة الدولة وفي هذه الحالات قد تلجأ الدول إلى اقتصاد الأزمة أو لاقتصاد الحرب، والكيل بمقدار أو التموين المحدد وقد استعمله يوسف عليه السلام من ضمن وسائل مواجهة الأزمة الاقتصادية، وهو ما يستفاد من قول إخوته لأبيهم يعقوب عليه السلام: (ونمير أهلنا ونحفظ أختانا ونزاد كيل بعير، نلك كيل يسيراً (63) ومن الآية الأخرى قبلها فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإننا له لحافظون (63) وهو ما يعني أن الكيل كانت تتحكم فيه السلطة بسبب الأزمة فتحدد الكيل بعدد أفراد القافلة، وقد عرف العالم المعاصر ذلك في الحروب خاصة الحربين العالميتين الأولى والثانية، وطبقته فرنسا بالجزائر بفرض بطاقة التموين.	التموين	
وهو من عرف التجارة وفي الأمور غير التجارية أيضا، فإخوة يوسف عليه السلام دخلوا مملكة مصر ببضاعة ليأخذوا بدلها مؤونة (فلما دخلوا عليه. قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة، فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين) (85).	المقايضة	
من مخالفات قانون السوق والأسعار تجد مسألة رفض البيع، فقد قال عليه السلام لإخوته وهم له منكرون، قال لهم لاستدراجهم باستعمال حيلة قانونية ليأتوه بشقيقه بنيامين: فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) (60.1) وقول إخوته لأبيهم يعقوب عليه السلام: (فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أختانا نكتل وإننا له لحافظون) (63) كما نجد رفض البضاعة في المقايضة أو في الشراء وهو ما صرح به الإخوة لأبيهم بعد أن رفض العزيز بضاعتهم وحرّمهم من الكيل : (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم، قالوا يا أبانا ما تبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ... (65).	قانون السوق والأسعار	

نجد المخالفات الجمركية متمثلة في تهريب البضائع، والاتجار في الرقيق من واقعة تهريب يوسف عليه السلام وبيعه: [وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدبل دلوه قال يا بشراي هذا غلام وأسرره بضاعة والله عليم بما يعملون (19) وهو ما يعني تهريب الأشخاص ويعني في نفس الوقت تهريب الأموال باعتبار الرقيق بضاعة عبروا بها الحدود وهو أيضا ما تؤكد هذه الآية الكريمة على لسان الأخ الأكبر، قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابات الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين (10.1) كما نجد أيضا المضاربة السلبية (بخفض الأسعار) ببيع يوسف بثمن متدنٍ (و شرره بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) (20)	قانون التجارة والمخالفات	
النداء والبلاغ: والإخبار وأخذ العلم بالأمر والإعلان والتصريح: (ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون)(07) ، النبأ: قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي) (37).	الإبلاغ والنبأ والإعلام والاتصال	
ويستفاد ذلك من استشارة الملك وطلب رأي خاصته في حلمه، يا أيها المملأ افتتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون (43) وقول يوسف عليه السلام لنزيل السجن (يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه، قضى الأمر الذي فيه تستفتيان) (41) ومن اختيار الملك من يكون من خاصته من أهل العلم والرأي، -التمكين أعلاه- فلا يكون من أهل الحل والعقد إلا من كان ذا كفاية في العلم والحكمة ليشترك في تدبير شؤون الدولة.	الرأي والمشورة والفتوى	
(وقال الذي نجا منهما وأدرك بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) (45) و (وقال الملك انتوني به، فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك (50) .	الرسل والمبعوثون	
هي شكل من أشكال الاتصال مفقود المصدر، قد تستعملها السلطة على أوساط شعبية دون وسائل الإعلام لإدارة وتوجيه الرأي العام، أو استشراف رد فعل الجماهير في أمر ما، والإشاعة تجد مادتها الخصبية عند اشتداد الأزمات الاقتصادية والسياسية أو الأخلاقية وعند تقادم الأوضاع الاجتماعية أو عند ارتكاب الفضائح وخاصة الفضائح السياسية والأخلاقية من حاشية أو خاصة مراكز السلطة والقرار، والإشاعة أخبار تنقل شفويا بين الأشخاص، تحمل جانبا من الصدق المدجج بالكذب على عكس التضليل أو الإفك الذي كله مبني على الكذب (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا، إنا لنهاها في ضلال مبين) (30) تكون كاذبة كما في حادثة الإفك والإشاعة الكافية المروجة عن الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، وهي إشاعة مغرضة والإشاعة المغرضة تكون بهدف إسقاط الخصم أو إذلاله، وقد وصفها القرآن الكريم على لسان امرأة العزيز بالمكر (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن (31) والإشاعة غالبا ما تكون بقصد السيطرة والتحكم في الخصم لقضاء مآرب معينة مادية أو معنوية. والإشاعة	الإشاعة كمصدر للخبر	

		كما تكون مقصودة تكون عفوية، أو رفض فكرة قبل عرضها من الخصم.
	الدعاية الدعوة	كما في قول يوسف عليه السلام بوصفه العزيز: ألا ترون أنني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين . 59 وفي العصر الحديث أصبح هناك ما يعرف بدائرة الدعاية ووزارة الدعاية، أما الدعوة فكما في عرض يوسف عليه السلام الإسلام على رفقاء السجن في قوله: (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (40) وخطبها يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار [(39).
	الإشهار	كما في قول إخوته عن بضاعتهم: (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا بضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين (88) فهم بذلك أعطوا إشهارا لبضاعتهم بالتواضع باعترافهم بأنها ليست فاخترة ولا هي من النوع الجيد والرفيع، وطلبوا من العزيز تجاوزها بالتصدق والإحسان إليهم .
	السيمولوجيا	ثلاثية الدال والمدلول للقميص حسب السياق في انتقاله بين القرينة والرمز والأيقونة، وسيمولوجيا الرائحة في رائحة يوسف كاتصال عبر منظومة الشم والتخاطر .
	التحسس والاستخبار	والتحقيق للبحث عن المعلومات وهو ما يستفاد من أمر يعقوب عليه السلام أولاده: (يا بني اذهبوا فتحوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) (87). والتحسس يكون بالخير والتجسس بالشر .
	اليقظة الأمنية	ومن تدابير الحيطة والاحتراز والأمن فقد أمر يعقوب عليه السلام بنيه أن يتفرقوا على أبواب المدينة بألا يدخلوا مجتمعين من باب واحد بحيث إن أصاب أحدهم مكروه نجا الآخرون منه، (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وأدخلوا من أبواب متفرقة) (67).
	التكتم على الأخبار	كما في قول يعقوب لولده يوسف عليهما السلام (قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك)
فن الرياضة والحرب	فلسفة اللعب	قال الأولاد لأبيهم يعقوب عليه السلام في معرض التحايل عليه ليرسل معهم يوسف عليه السلام للانفراد به وتنفيذ ما خططوا له أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون (12) فقال الشراح إن اللعب المقصود ليس هو اللعب المعروف عند العامة، بل المقصود هو الرياضة والتدريب على فنون الحرب والقتال المعروفة عند البدو وقت ذاك، وهو ما يستفاد فعلا من قوهم لأبيهم عند الرجوع إليه ليلا: (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب (17) والتفرقة قائمة بين اللعب واللهو كما في قوله تعالى: إنها الحياة الدنيا لعب ولهو) (محمد (36) فاللعب قد يفيد أيضا معنى التسلية أما اللهو فهو لعب العبث.
فن التمثيل	تمثيل الأبناء على أبيهم	التمثيل الدرامي (وجاءوا أباهم عشاء يكون) (16) التمثيل المقصود: تمثيل يوسف التكر على إخوته بإخفاء حقيقته عنهم ليأتوه عن طريق حيلة قانونية بشقيقه بنيامين فجعل كيلهم واقفا على شرط أن يأتوه به [وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ... فإن لم تأتوا به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون

(551، 59 و 60) وتمثيله تفتيش متاع أخيه بنيامين واستخراج صواع الملك من ذلك المناع: فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه، ثم استخرجها من وعاء أخيه (76). وتجاهل الأمر وكان هو من أمر بحبك التمثيلية فكانت محكمة وانطلت على إخوته.		
يوسف عليه السلام استعمل مع إخوته في لغة الكلام طريقتين: الحوار وحديث النفس (المنولوج) ومن الأمثلة على ذلك: (قال انتوني بأخ لكم من أبيكم . 59) فكان حوارهم : (قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون) (61) وطريقة حديث النفس كما في قوله: (قالوا إن يرق فقد سرق أخ له من قبل، فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم، قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) (77) فالإخوة جهروا بالقول وهو رد عليهم داخل نفسه، ومن ثم فلغة التمثيل هي الحوار وحديث النفس والحركات الإيمائية، وإدارة وضبط الانفعالات، وهنا تتجلى استراتيجية التماسف الأمني في إخفاء الغضب وإدارته.	إدارة الانفعالات والعواطف الحوار وحديث النفس	
امرأة العزيز أقامت مأدبة دعت إليها النسوة اللاتي كن أشعن عنها حب فتاها، وعرضته عليهن، كما تعرض حاليا الآثار الثمينة أو عروض ملكات الجمال أو كمال الأجسام، (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت أخرج عليهن، فلما رأيته أكبرنه وقطن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) (31) فهي أقامت ذلك العرض لجعلهن في التجربة وأمام الأمر الواقع لتتظر ما يحدث فيهن، فيلتمسن لها الأعذار ويغيرن رأيهن، وكان لها أكثر مما توقعت وكأنها كانت تعرف سرائرهن معرفة يقين فوقعن في استهواء من مرأى الفتى، الأمر الذي لم يجد معه مفراً إلا إلى الله بأن دعاه النجاة وفضل السجن على الوقوع في الفاحشة قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين (33).	المشاهد الاستعراضية "سياسات التخويف والتهديد"	
للمفاجأة كبير الأثر في علم النفس، سواء المفاجأة السارة أو المفاجأة والأليمة، ونجد آثارا كثيرة للمفاجأة في مجرى هذه القصة بالذات الحزن؛ وما ينتج عنه من أعراض أمراض عضوية ونفسية والفرح وما يحدثه من أثر معاكس ونجد الصبر علاجا والصدمة النفسية شفاء إلى غير هذا من الداء والدواء ومن الأمثلة ما يلي يوتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) (84) بفقدان البصر، وبفعل المفاجأة ارتد بصيرا برودة فعل عكس الحالة الأولى ومسألة الصدمة النفسية والمفاجأة تقطن لها يوسف عليه السلام بفعل حكمته وإلهامه، فأرسل قميصه إلى أبيه وأرشد إخوته إلى طريق العلاج النفسي (انهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وتوني بأهلكم أجمعين) (93) وكان العلاج بالطريقة التي أوصى بها وكانت نتيجة العلاج فورية كما توقع لها أقلها أن جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا) (96) ومن ذلك أيضا إدراك الأمور بطريق الحدس والإلهام والتخاطر (إني لأجد ريح يوسف لولا تفتنون) (94) وإذا كان الحزن قد يؤدي إلى المرض وإلى السقم والهلاك وهو ما قال به إخوة يوسف	علم النفس وطب الأعصاب والعاطفة والجنس	

لأبيهم (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين 85) فإن الفرج يحدث الأثر المعاكس بالصبر الجميل، والجميل (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا قصير جميل والله المستعان على ما تصفون) (18) مع يوسف ومع بنيامين في حجزه بمصر بحيلة قانونية (عسى الله أن يأتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم) (13) والصبر يزداد بقوة الإيمان بالله في صد اليأس (ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) (17)		
والنفس أنواع منها الأمانة بالسوء وهي التي ذكرها القرآن الكريم على لسان امرأة العزيز في قوها: (وما أبرئ نفسي، إن النفس الأمانة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم) والمغفرة والرحمة تكون بالتوبة النصوح والاعتراف بالذنب بعدم الخيانة.	أنواع النفس	
كان الحسد سبب توريط إبليس لآدم وحواء في العصيان فأخرجهما أيضا من الجنة، فكان أول جريمة ترتكب في السماء، وفي الأرض بأول قصة قتل بين الإخوة حين قتل قابيل هابيل، وحسد المحبة في قصة يوسف: ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة، إن أبانا لفي ضلال مبين، اقتلوا يوسف أو طرحوه أرضا يحل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين (8 و 9) والحسد بطبيعته ينتج الغضب وعن الغضب والحقد والأثمانية المفرطة . بما فيها حسد الرؤى وحسد عدد الإخوة وحسد العلم.	مرض الحسد والحقد	
بتمنية الناس والنفس بالإصلاح بعد القتل "قوما صالحين" وهو مرض تبرير الجريمة.	مرض الفساد	
هو أحد فروع علم النفس، ومن أنواعه التفسير بالأضداد والتفسير الرمزي الروحاني، أما علم التأويل فينسب حقل الهيرمينوطيقا، والرؤيا تأتي لعلاج النفس أو تحذيرها أو اعتبار ما سيكون فيها	علم الرؤى	
حافظ القرآن على سلامة الثقافة الجنسية بتحريم البغاء والزنا، وبغض البصر وحفظ الفروج وحفظ المسافات البصرية عند الأطفال في سورة النور في الأمكنة والأزمنة الحميمة، وترفع عن شكل المشهد اليوسفي في عدم الوقوع في الزنا بعد عرض الذات من زوجة العزيز "هيت لك" فعل أمر بمعنى هلم أو تعال أو أقدم، غير أن الله أدركه فأنقذه (ولقد همت به و هم بها لو لا أن رأى برهان ربه كذلك التصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)(24) والتحريض على الفسق وراودته التي هو في بيتها عن نفسه (23) والإكراه والاعتصاب جرائم نصفها القوانين الوضعية بالجنايات.	العاطفة والتربية الجنسية	

علم القانون	الجريمة والتجريم
	من الجرائم التي كانت معروفة آنذاك بالإضافة إلى القتل، جريمة إبعاد الأطفال أو استدراج القصر اليوم (كما هي معرفة في القوانين الوضعية الحديثة) وجريمة إخفاء هويتهم وتعريضهم للخطر: (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يحل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين) والدليل الكاذب والبلاغ الكاذب (وجاء وأعلى قميصه بدم كذب) (18) والقذف والوشاية الكاذبة (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم) (251)، والمساومة والتشهير (ولتن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغر) (32)، وتهريب الأشخاص والبضائع (أسروه بضاعة والله عليم بما يعملون) (19) والمضاربة (غير المشروعة بخفض الأسعار: وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين (20)، والسرقة: (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل (77) والزنا والإغراء والتحريض
فترة الإيداع قبل المحاكمة	يوسف عليه السلام تم إدخاله السجن { ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آلَآيَاتٍ لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّى } حين ٣٥، وهذه الكلمة "حتى حين" لم تحدد لا الزمن والمدة التي يجب أن تكون قانونية، وهو ما اعتبره ابن عاشور غاية ذكر الله لآية النسيان "فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين" 46 فيما يضع مبدأ حقوق المساجين وهو سبب قول يوسف { وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَسَلَّهُ مَا نَالَ النَّسْوَةَ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَذِبِهِنَّ عَلِيمٌ } ٥٠

المصدر: الباحثة بتصرف في المراجع

4. خاتمة:

تستند القصة القرآنية المبنية على سرد الرؤى بمسافة جمالية مضاعفة، وهو ما يمكن تخليق مفهومه بالتماسف التأويلي أو هالة التماسف الجليل، مرة بين الله والبشر، ومرة بين الله والمتخيلة عند عباده، فهي عالم نهتم به في علوم الإعلام والاتصال ووقع التواصل الروحي والروحاني إما في مقاربات الصوفيين أو الجدد من ذوي دراسات التخاطر الروحي المبني على دلالة ريح يوسف في السورة القرآنية، فالانبهار بين التالي لآيات الله يكمن في القصة التي يعرفها قارئها سلفاً على لسان الرحمن أنها من أحسن القصص، وسردها وطرق نسجها بما يسمى دراميا بجماليات التراجع التصويري عبر التأويل للرؤى Play back aeisthtics في نهاية الحزن بتحقيق الرؤى.

وقد حدث أمر الدهشة في القرآن مع قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام في رؤيا والده إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ورؤيا الرسول عليه الصلاة والسلام في الفتح ورؤيا يوسف التي دائماً ما كان يوجهها الله حتى تخدم استلزاما تواصليا يبقي على اللذة وتأجيلها إلى حين فك رموزها، وهو العلم الذي بات يهتم اليوم

حتى بتفكيك الأيقونات في الصورة والنص "الأيقونولوجيا"، فقد تتوجه الدراسات القرآنية نحو علم جديد من ترميز القرآن في الأيقونولوجيا القرآنية، ناهيك عن أن المسافة الجليلة في ترانسدستالية التوقع جعلتنا ننقعه في أفق التحاقل إذ أن السورة اليوسفية سورة متعددة التخصصات.

5. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

1. باستيد، روجيه (تر) وجيه البعيني، السوسيوولوجيا والتحليل النفسي، دار الحداثة، بيروت، 1988
2. بودريار، جان (تر) منير الحوجي، احمد قصوار، الفكر الجذري: أطروحة موت الواقع، دار توبقال، المغرب، 2006
3. بوكروخ مخلوف. التلقي في الثقافة والإعلام، دار مقامات، الجزائر، 2011،
4. بومنير، كمال، قراءات في الفكر النقدي لمدرسة فرانكفورت، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2012.
5. بيرك، إدموند (تر) حنا عبود، في الحليل والجميل، دار الحوار، دمشق، 2017
6. تودوروف، تزفيتان، القراءة كبناء، م-جماعي: نظريات القراءة: من النبوية إلى الجمالية، دار الحوار، دمشق، 2019
7. الجويني، سعاد، إين سينا، التخيل والشعر والنبوة، مجمع الأطرش، تونس، 2017
8. حمداوي، جميل، بيير بورديو وأسئلة علم الاجتماع، سلسلة البحث الأكاديمي، منشورات مجلة العلوم القانونية، مطبعة الأمانة، الرباط، 2018
9. حموي، رانية محمد غياث عالية، جمال التواصل في الخطاب القرآني المكي والمدني، دار نينوى، دمشق، 2022
10. ريكور بول (تر) جورج زيناتي، الذات عندها كآخر، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005
11. السلمي، أبو عبد الرحمن وآخرون، التفسير الصوفي لسورة يوسف، المكتبة الفلسفية الصوفية، الجزائر، 2021
12. الصلابي، علي محمد، النبى الوزير يوسف الصديق عليه السلام من الابتلاء إلى التمكين، دار الأصالة للنشر والتوزيع، تركيا، 2023
13. العتيبي، محمد، في الجمال: دعوة إلى جمالية اجتماعية، المكتبة الفلسفية الصوفية، الجزائر، 2014
14. العطوي، حمود بن عويس، جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، قطر، 2022،
15. العقون، سعاد، مدخل لإدارة الأزمات، مركز البحوث والدراسات جول الجزائر والعالم، الجزائر، 2016
16. العيد، جرمان، المبادئ والأحكام في قصة يوسف عليه السلام، النشر الجديد الجامعي، الجزائر، 2016،
17. ماتلار، أرمان وميشال، (تر) نصر الدين لعباسي، الصادق رابح، تاريخ نظريات الاتصال، ط3، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005
18. يونغ، كارل غوستاف، (تر) محمود منقذ الهاشمي، الأحلام، دار الحوار، سوريا، 2013

• المقالات:

1. بدري، عمر، لوفيناس والتجذير الفينومينولوجي لإيتيكا الحدث، أو اللقاء بالآخر بما هو حدث إيتيقي، مجلة دراسات فلسفية، العدد 06، أبريل 2016، الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، الجزائر
2. بريشو رشيد، تجليات السنن الإلهية في قصة يوسف عليه السلام، مجلة المنهل، العدد 02، 2022
3. بهلال، بثينة، أمال منصور، أفضية التماسف ومساءلات زمن ما بعد المرويات الشارحة: فلسفة الاختلاف من منظور تفكيكي - إيتيقي، مجلة رفوف - المجلد 12 / العدد: 01 ماي 2024، مخبر المخطوطات - جامعة أدرار - الجزائر

4. ¹رنا أحمد عبد الحليم، المفارقة الدرامية في سورة يوسف عليه السلام، مجلة دراسات، المجلد 44، العدد 04، 2017
5. . ستيف إيريكسون (تر) يزن شروف، استكشاف المماسفة في أعمال دورثي هيثكوت: الاغتراب كتحرير شعري، مجلة رؤى تربوية، العدد 60، فلسطين، 2025
6. ضربان، مريم ، جماليات التجلي الروحاني في تأويل رؤيا الخيل، التفكير في الاتصال القدسي للصافنات الجياد وفق نموذج ابن سينا للاتصال، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 01، المجلد 11، جوان 2025.
7. عبد الغفار بن نعمة، المسافة الجمالية في السرد القرآني، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 22، 2014
8. B. Blaagaard , Bolette, Stuart Allan, "Citizen mediations of connectivity Narrowing the 'Culture of Distance' in television news", in: Citizen Media and Public Spaces, Diverse expressions of citizenship and dissent, edited by: Mona Baker and Bolette B. Blaagaard , Routledge, USA, 2016

• مواقع الانترنت:

محمد جميل زينو، التأويل في القرآن الكريم، <https://www.alukah.net/sharia> ساعة ويوم الاطلاع 2024/10/28